



مجلة

مركز بحوث التراث الإسلامي

العدد السابع

١٤١٤هـ - ١٩٩٣ / ١٩٩٤م

رحلة معاذ بن جبل - رضي الله عنه-

الدعوية

إلى اليمن كما وردت في السنة النبوية

دكتور/ أحمد محمد العليمي

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بجامعة الإمارات العربية المتحدة

رحلة معاذ بن جبل - رضي الله عنه - الدعوة
إلى اليمن كما وردت في السنة النبوية

قال ﷺ :

« نعم الرجل معاذ بن جبل »^(١)

وقال أيضاً :

« وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ »^(٢)

الحمد لله الهادي ، والصلاة والسلام على إمام الدعوة سيد المرسلين ﷺ

أما بعد :

فقد اختار الله نبينا محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين ، وجعل رسالته ناسخة لكل الديانات : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ »^(٣) فأدى محمد ﷺ واجب التبليغ والتطبيق ، ودعا إلى الله على صراط مستقيم ، فكشف الله به الغمة ، وأزال به الظلمة ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وكان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هم الأمانة على الإيمان بالدعوة وحملها وإيصالها إلى من بعدهم من الناس ، وقد خصوا بميزات عديدة ، تتصدر ذلك ميزتان :

الأولى : ميزة الفضل وعلو المكانة ، فهم أصحاب رسول الله ﷺ ، آمنوا به وصدقوه ورافقوه وجاهدوا في سبيل الله معه ، فنالوا شرف الصحبة الذي لم يشاركهم فيه أحد ممن جاء بعدهم « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »^(٤) .

الثانية : ميزة حمل الرسالة والإيمان بها وتبليغها للناس ، والجهاد في سبيلها ، حيث حقق هذا الجهد تحرير الإنسان وسموه .

ولقد كان معاذ بن جبل أحد أولئك الرواد الأوائل في تحقيق تلك الميزات ، وكان له قصب السبق في التحلي بطريقة هداية الناس ودعوتهم إلى الإسلام . ولا شك أن أهليته الدعوية والعلمية أبرزته وقدمته على كثير من الصحابة ، فإذا به أمامهم في الدنيا والآخرة . . « يأتي معاذ يوم القيامة أمام العلماء برتوة »^(٥) .

لذا كان إبراز هذه الرحلة الإيمانية والمهمة الدعوية التعليمية ، وتوضيح التكليف الشريف من صاحب الدعوة محمد ﷺ ، لأحد أصحابه أمراً واجباً نتلمس من خلال أحداثه طريق فقه دعوي وممارسة ميدانية طرفاها رسول الله ﷺ ، ورسوله إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

إن تلك القبسات تمثل علامات في الطريق في كل دور دعوي لأنها تمت بنجاح ، وقام منفذها بدوره فيها خير قيام ، فكان هذا الجهد البياني لهذه الرحلة المباركة إلى أرض الإيمان اليمن الميمون .

السيرة الذاتية لمعاذ رضي الله تعالى عنه :

اسمه ونسبه :

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو ابن أديّ الأنصاري الخزرجي ، السيد الإمام المدني البصري .

وأمه هي : هند بنت سهل من بني رفاعة ، ثم من جهينة^(٦) .

أسلم وهو ابن ثنائي عشرة سنة ، وشهد بدرأ مع أعيان الصحابة ، كان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن^(٧) .

قال الذهبي : أبو عبد الرحمن الأنصاري في قول الجماعة ، وخالف أبو أحمد الحاكم فقال يكنى بأبي عبد الله^(٨) .

قال ابن حجر : الإمام المقدم في علم الحلال والحرام ، وشهد بداراً وهو ابن إحدى وعشرين سنة وأمره النبي ﷺ على اليمن^(٩) .

مكانته وفضله :

لقد حاز الفضل والثناء رضي الله عنه من الرسول الكريم ﷺ وكفى بذلك مكانة وفضلاً ، ثم إنه من السابقين الذين شهدوا بيعة العقبة ، ويوم بدر وهما مزيّتا فضل لا يقدم غيرهما عليهما ، قال له النبي ﷺ : « إني أحبك »^(١٠) وما كان لنبي معصوم أن يبثّ حبه أو أن يسكن ذلك الحب قلبه لمن لا يستحقه .

جمع القرآن وحفظه :

روى قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، وزيد ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد أحد عمومي^(١١) .

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود وأبي ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة »^(١٢) . وقال عمر رضي الله عنه وهو يخاطب الناس في الجابية : من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل^(١٣) .

صفاته :

قال أبو نعيم : إمام الفقهاء وكنز العلماء ، كان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياءً وسخاءً ، وكان جميلاً وسيماً^(١٤) .

وعن أبي سلمة الخولاني قال : دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من الصحابة ، فإذا فيهم شابٌ أكحل العينين ، براق الثنايا ، ساكت ، فإذا امترى القوم أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت من هذا ؟ قيل : معاذ بن جبل^(١٥) .

قال الذهبي رحمه الله : ابن عينية ، عن زكريا ، عن الشعبي قال : قرأ عبد الله إن معاذاً كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ، فقال له فروة بن نوفل : إن إبراهيم ، فأعادها ثم قال : إن الأمة معلّم الخير والقانت المطيع ، وإن معاذاً رضي الله عنه كان كذلك^(١٦) .

وفاته :

وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة ، أو التي بعدها ، وهو قول الأكثر وعاش أربعاً وثلاثين سنة . وقيل غير ذلك^(١٧) .

متى تم إرساله إلى اليمن ؟

يورد علماء الحديث والسير في تحديد وقت إرسال النبي ﷺ لمعاذ إلى اليمن ثلاثة أقوال :

الأول : سنة عشر قبل حج النبي ﷺ حجة الوداع :

قال البخاري رحمه الله : باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع^(١٨) .

وقال ابن حجر رحمه الله : وكان بعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ^(١٩) .

الثاني : سنة تسع عند منصرفه ﷺ من تبوك :

قال ابن حجر : رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك .

وقال أيضاً : وعند أهل المغازي أنها كانت -أي الإرسال- في ربيع
الآخر سنة تسع من الهجرة^(٢٠) .

الثالث : سنة ثمان بعد الفتح^(٢١) :

قال ابن كثير : وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ استخلفه -أي معاذ-
بمكة مع عتّاب بن أسيد رضي الله عنه ليعلم أهلها ، وأنه شهد
غزوة تبوك ، فالأشبه أن بعثه كان بعد ذلك . والله أعلم^(٢٢) .

والتأمل لهذه الروايات الثلاث يجد ما يأتي :

(١) أن القول الثاني مردود ، فهو مروى من طريق محمد بن عمر الواقدي
وهو متروك^(٢٣) .

(٢) أن القول الثالث الذي فيه استخلاف النبي ﷺ لمعاذ في مكة من رواية
الواقدي المذكور ، وهو أيضاً مرسل فهو مروى عن مجاهد في رواية وعن
عروة في رواية وفي الطريق إلى عروة عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف^(٢٤) .

(٣) يتنافى القول الثالث مع شهوده لغزوة تبوك . . . إذ كيف يتم ذلك^(٢٥) ؟؟

(٤) لا ينبغي على هذا التحديد فائدة فيما يظهر .

وعند ترجيح القول الأول لسلامته ، وجزم البخاري به ، لا يتعارض
ذلك الترجيح مع القول الثاني والثالث .

خطاب رسول الله ﷺ لأهل اليمن :

أهل اليمن من أسرع القبائل استجابة للدعوة ، وقبولاً لمبادئها ، والإيمان
بدلائل الإسلام الذي أرسل الله به محمداً ﷺ ، وقد أرسل إليهم النبي ﷺ
رسالة يدعوهم فيها للإسلام ، فأقبلوا إليه راضين مسلمين حتى استحقوا
وصف رسول الله ﷺ حيث قال :

« أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ،
والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في
أهل الغنم » (٢٦) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :
« اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا » (٢٧) .

وكان مما كتبه النبي ﷺ إلى زرعة ذي يزن :
« إذا أتاك رسلي فأوصيك بهم خيراً »
« وإن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضياً »
« وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي ، وأولى دينهم ، وأولى علمهم ،
فأمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم » والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته (٢٨) .

واستجابوا لهذا التوجيه النبوي ، واستقبلوا رسول رسول الله ﷺ بما هو
أهله من إيمان بالله ، وبمحمد رسول الله ﷺ ، وإقامة شعائر الإسلام
وشرائعه ، وصدق فيهم وصف الحبيب محمد ﷺ .

توديع النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه :

قال الذهبي رحمه الله : أبو اليان حدثنا صفوان بن عمرو ، عن راشد بن
سعد ، عن عاصم بن حميد السكوني . . أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي ﷺ
إلى اليمن فخرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما
فرغ قال : « يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمرَّ
بمسجدي وقبري » فبكى معاذ جزعا لفراق رسول الله ﷺ ، قال : « لا تبك
يا معاذ ، أو إن البكاء من الشيطان » (٢٩) .

قال سيف بن عمر ، حدثنا سهل بن يوسف عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، أن النبي ﷺ حين ودعَّ معاذاً قال : « حفظك الله من بين يديك ومن خلفك ، ودرأ عنك شرَّ الإنس والجن »^(٣٠) . وذكر ابن سعد بسنده إلى معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : كان آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين جعلت رجلي في الغرز أن أحسن خلقك مع الناس^(٣١) .

المناطق التي ذهب معاذ رضي الله عنه إليها :

لقد ورد ذكر المناطق التي ذهب معاذ رضي الله عنه إليها قال أبوسنان اليماني : وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة :

فوالٍ على الجند ومخالفها - وهو أعظمها -
 ووالٍ على صنعاء ومخالفها - وهو أوسطها -
 ووالٍ على حضرموت ومخالفها - وهو أدناها -

وسميت الجند نسبة إلى جند بن شهران بطن المعافر . كانت مدينة حصينة كثيرة الخيرات ، ثم آل أمرها إلى قرية صغيرة فيها المسجد الجامع^(٣٢) .

قال الجندي : جامع الجند مسجد مشهور عمَّه معاذ بن جبل رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ بمساعدة أهل السكاسك بوصية رسول الله ﷺ بإعانة معاذ بن جبل على بنائه ووعد من أعانه بخير . . وكان بناؤه سنة تسع من الهجرة^(٣٣) .

« ونزل معاذ رضي الله عنه في الجند بين حيين من العرب السكون والسكاسك ، وهما حيان من القبيلة العربية المشهورة - كنده - التي كانت منازلها تمتد بين اليمن وحضرموت .

والجند من أرض السكاسك ، وبينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً^(٣٤) .

وقد أخرج أبو نعيم عن طاووس اليماني في قصة بناء المسجد قوله :
« قدم معاذ بن جبل أرضنا ، فقال له أشياخ لنا ، لو أمرت ننقل لك من هذه
الحجارة والخشب فبنني لك مسجداً ، فقال : إني أخاف أن أكلف حملة يوم
القيامة على ظهري ، فبنى مسجداً متواضعاً يشبه مسجد رسول الله ﷺ (٣٥) .

وقد تزوج معاذ رضي الله عنه امرأة من بني بكره - وهي حي من السكون
يقال لها - رملة - فحذبوا عليه وعلى من معه (٣٦) .

وعند وصول معاذ رضي الله عنه ، اجتمع إليه الناس ، وعرفهم بنفسه ،
وأنه رسول رسول الله ﷺ .

قال عمرو بن ميمون الأودي : قدم علينا معاذ بن جبل اليماني رسول
رسول الله ﷺ من السحر رافعاً صوته بالتكبير ، أجش الصوت ، فقام فينا
خطيباً ، فقال :

يا بني أود .. إني رسول رسول الله ﷺ إليكم ، تعلمن أن المعاد إلى الله
تعالى ، ثم إلى الجنة أو إلى النار (٣٧) .

قال الذهبي رحمه الله :

سيف : حدثنا جابر الجعفي ، عن أم جهيش خالته قالت : بينا نحن
بدثينة بين الجند وعدن إذ قيل : هذا رسول رسول الله ﷺ ، فوافينا القرية ،
فإذا رجل متوكيء . على رحمه ، متقلد السيف . . . « (٣٨) .

والجند اليوم فيها معهد معاذ بن جبل رضي الله عنه العلمي ، حيث يؤدي
دوراً علمياً وتربوياً في بناء أجيال المسلمين في تلك الديار ، إلا أن ما يفعله
بعض المسلمين من الصلاة والاحتفال بالمسجد الجامع هناك في أول جمعة من
رجب ، لم يرد به دليل لا من قرآن ولا سنة ولا إجماع - والأصل في العبادات

التوقيف- لذا ينبغي الإقلاع عن هذه البدعة ، فالخير كل الخير في الاتباع ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه - والله المستعان .

مهمة معاذ ووظيفته التي بعثه ﷺ لها :

لقد تلقت الأمة رسالة السماء ، وبعث النبي ﷺ دعاة لتبليغ الهداية إلى الناس ، وكان لليمن فضل سبق بين جيران مكة والمدينة حيث استقبل أهلها الإسلام بقبول وافر ، وحظ كبير . « الإيذان بيان ، والحكمة بيان »^(٣٩) .

وقد أرسل النبي ﷺ إليهم مجموعة من الصحابة رضوان الله عنهم ، كان منهم معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه .

ولقد تعددت آراء العلماء في تحديد مسمى تلك المهمة :

قال ابن حجر : واختلف هل كان معاذ والياً أو قاضياً ؟ فجزم ابن عبد البر بالثاني ، والغساني بالأول^(٤٠) .

قال ابن عبد البر : وبعثه رسول الله ﷺ قاضياً إلى الجند من اليمن ، يُعلم القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات^(٤١) .

وقال ابن كثير : والمقصود أن معاذاً رضي الله عنه كان قاضياً للنبي ﷺ باليمن وحاكماً في الحروب ، ومصدقاً إليه تدفع الصدقات ، وقد كان بارزاً للناس يصلي بهم الصلوات الخمس^(٤٢) .

وقد أورد الإمام البخاري بسنده إلى عمرو بن ميمون أن معاذاً رضي الله عنه لما قدم اليمن صلى بهم الصبح : فقرأ : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) فقال رجل من القوم : لقد قرّت عين أم إبراهيم .

وفي رواية للحديث : « أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن ، فقرأ معاذ

في صلاة الصبح سورة النساء ، فلما قال (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) قال رجل خلفه : قرّت عين أمّ إبراهيم « (٤٣) .

وتماماً للفائدة بعد ذكر رواية البخاري ، أذكر ما يزيل إشكال تقرير معاذ لهذا القائل :

قال ابن حجر : وقد استشكل تقرير معاذ لهذا القائل في الصلاة وترك أمره بالإعادة ، وأجيب عن ذلك :

- إمّا بأن الجاهل بالحكم يعذر .
 - وإمّا أن يكون أمره بالإعادة ولم ينقل .
 - أو كان القائل خلفهم ولكن لم يدخل معهم في الصلاة .
- ثم قال رحمه الله : ودلّ الحديث على أنه كان أميراً على الصلاة (٤٤) .

قال ابن تيمية : ومن فضائل معاذ رضي الله عنه أنه ﷺ بعثه إلى اليمن مبلغاً عنه ، ومفقهاً ، ومعلماً ، وحاكماً (٤٥) .

وقال الطبري : وبعث معاذ بن جبل معلماً (٤٦) .

قال الجندي : إن معاذاً قدم الجند في جمادي الأخرى ، وأوصل كتاب رسول الله ﷺ إلى بني الأسود ، وكانوا قد أسلموا ، فاجتمعوا إليه في أول جمعة من رجب وخطبهم وفيهم جمع من اليهود فسألوه عن مفاتيح الجنة فأخبرهم بما قاله رسول الله ﷺ ، فسلموا ، وأسلموا . وكان ذلك في جمع كبير (٤٧) .

والمهمة الدعوية هي مهمة جهادية ، إذ أن الدعوة والكلمة تحتاج إلى حماية ودفاع عنها وصبر على قولها ، ورد الفعل عند الآخرين لها ، فكان من وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه إشارة إلى هذا الجانب ، يقول معاذ رضي الله عنه : « لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمن قال « قد بعثتك إلى قوم رقيقة قلوبهم ، فقاتل بمن أطاعك من عصاك » (٤٨) .

التكليف بالمهمة الدعوية :

كانت هذه المهمة متميزة لما اشتملت عليه من فقه دعوى ، وتربية إيمانية فاضت نوراً وهداية على القلوب ، وأبصرت من خلالها البصائر نور الله ومعرفته .

ولقد علم النبي ﷺ معاذاً تلك المعاني ، وبصره بذلك الفقه الدعوى حيث روى معاذ رضي الله عنه تلك القصة وذلك التعليم بقوله : بعثني رسول الله ﷺ قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » . متفق عليه^(٤٩).

وحديث معاذ هذا يحتاج إلى ثلاث وقفات لبيان فوائده ، وتحليل مقاصده ، والاستفادة من معانيه :

- الأولى : وقفة حدِيثية تتعلق برواية الحديث وسنده .
- الثانية : وقفة لغوية تبيّن بعض مفرداته ومعانيها وبعض وجوه اللغة فيه .
- الثالثة : وقفة دعوية نستبين فيها مقاصده الدعوية وفقهه .

رواية الحديث :

هذا الحديث من طرقه كلها من مسند عبد الله بن عباس ، لا من مسند معاذ ، إلا ما ورد عند مسلم في بعض طرق الحديث عن شيوخه أبي بكر ، وأبي كريب ، وابن راهويه .

قال مسلم رحمه الله : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وإسحق بن إبراهيم جميعاً عن وكيع .

قال أبو بكر : حدثنا وكيع عن زكريا بن إسحاق قال : حدثني يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس عن معاذ بن جبل .

قال أبو بكر : ربما قال وكيع عن ابن عباس إن معاذاً قال : بعثني الحديث^(٥٠) .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث بعد أن أشار إلى أن الرواية الأولى عند مسلم تقتضي أن يكون الحديث من مسند معاذ ، والروایتين الأخيرتين تقتضيان أن يكون الحديث من مسند ابن عباس . . . قال : « ووجه الجمع بينهما أن يكون ابن عباس سمع الحديث من معاذ فرواه تارة عنه متصلًا ، وتارة أرسله فلم يذكر معاذًا ، وكلاهما صحيح كما قدمنا أن مرسل الصحابي إذا لم يعرف المعروف^(٥١) يكون حجة فكيف وقد عرفناه في هذا الحديث أنه معاذ .

ثم قال : ويحتمل أن ابن عباس سمعه من معاذ ، وحضر القضية ، فتارة رواها بلا واسطة لحضوره إياها ، وتارة رواها عن معاذ إما لئسيانه الحضور أو لمعنى آخر^(٥٢) .

سند الحديث : (٥٣)

(١) وعلق أيضاً الإمام النووي رحمه الله على سند الحديث عند مسلم فقال : « هذا الذي فعله مسلم رحمه الله نهاية التحيق والاحتياط والتدقيق . فان الرواية الأولى قال فيها : عن معاذ . . والرواية الثانية قال فيها : أن معاذ وبين أن و عن فرق .

قال الجماهير : أن كعن فيحمل على الاتصال^(٥٤) .
وقال جماعة : لا تلتحق أن بعن بل تحمل أن على الانقطاع ، ويكون
مرسلاً . ولكنه هنا يكون مرسل صحابي له حكم المتصل على المشهور
من مذاهب العلماء . .

ثم قال : فاحتاط مسلم رحمه الله ، وبين اللفظين^(٥٥) .

(٢) رجال الإسناد : اتفق أصحاب الكتب الستة على إخراج حديثهم إلا
شيخ مسلم - أبو بكر ابن أبي شيبة - فلم يخرج حديثه الترمذي ،
وإسحاق بن إبراهيم لم يخرج حديثه ابن ماجه .

(٣) في الإسناد ثلاثة من الكوفة : أبو بكر ، وأبو كريب ، ووكيع
وأربعة من مكة : زكريا ، ويحيى ، وأبو سعيد ، وابن عباس .

(٤) في الإسناد رجل وصف بأنه (أمير المؤمنين في الحديث) وهو إسحاق بن
إبراهيم بن راهويه ، وقد وصفه بذلك إمام المحدثين أحمد بن
حنبل^(٥٦) .

(٥) في الإسناد ثلاثة اشتهروا بكناهم : أبو بكر ، أبو كريب ، أبو معبد .

(٦) وكيع في الإسناد غير منسوب وهو ابن الجراح ، ولا لبس في عدم نسبه
لأنه ليس في رجال صحيح مسلم من يسمى بهذا الاسم غيره . . بل
جملة من يسمى (وكيعا) في الكتب الستة : ثلاثة .

الأول : وكيع بن الجراح . . وقد اتفقوا على إخراج حديثه .

الثاني : وكيع بن عُدس . . وهو من رجال الأربعة^(٥٧) .

الثالث : وكيع بن مُحرس . . وهو من رجال ابن ماجه وحده^(٥٨) .

(٧) في إسناد الحديث إسحاق بن إبراهيم

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في التهذيب^(٥٩) :

قال الأجري سمعت أبا داود يقول : إسحاق بن إبراهيم تغير قبل أن يموت بخمسة أشهر وسمعت منه في تلك الأيام فرميت به .
والحكم في رواية المختلط عند المحدثين قبول ما حدث به قبل الاختلاط دون ما كان بعده .

قال النووي : « واعلم أن ما كان من هذا القبيل محتجاً به في الصحيحين ، فهو مما علم أنه أخذ قبل الاختلاط^(٦٠) .

(٨) في الإسناد صحابييان : ابن عباس ، ومعاذ .

وابن عباس هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو العباس المكي ثم المدني ثم الطائفي ، ابن عم النبي ﷺ ، وصاحبه ، وحرر الأمة . دعا له النبي ﷺ فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين . مات في الطائف سنة ثمان وستين^(٦١) . وأما معاذ فتقدم الحديث عنه مفصلاً .

بيان بعض وجوه اللغة في الحديث :

* أهل الكتاب : والمراد بهم اليهود والنصارى .

قال ابن حجر رحمه الله : كان أصل دخول اليهودية في اليمن في زمن أسعد أبي كرب وهو تبع الأصغر كما حكاه ابن إسحاق في أوائل السيرة النبوية الشريفة^(٦٢) ، وأما النصارى فقد ورد ذكرهم في عام الوفود حيث وفدوا على رسول الله ﷺ ودعاهم إلى المباهلة^(٦٣) .

* صدقة : المراد بها هنا الزكاة الشرعية التي فرضها الله في أموال الأغنياء .

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ﴾^(٦٤) .

* كرائم : الكرائم جمع كريمة أي نفيسة ، وهي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة ، أو كثرة لحم وصوف .

قال العيني : قوله « فإياك وكرائم » .
بالواو ولا يجوز تركه لأن معنى إِيَاك اتَّق ، وهو الذي يقال له التحذير والمحذر منه إذا ولي المحذر . فإذا كان اسماً صريحاً يستعمل بمن أو الواو ، ولا يخلو عنهما وألا يفهم منه أنه محذر منه .

وان كان فعلاً يجب أن يكون مع أن ، ليكون في تأويل الاسم فيستعمل بالواو عطفاً نحو ، إياك وأن تحذف - فإن تقديره إياك والحذف .

أو بمن . نحو ، إياك من أن تحذف ، ولا يجوز أن يقال : إياك الأسد بدون واو وقد نقل ابن مالك إياك الأسد بحذف الواو ، ولكنه شاذ يكون في الضرورة^(٦٥) .

* واتق : عطف واتق على عامل إياك المحذوف وجوباً . .
والتقدير : اتق نفسك أن تتعرض للكرائم .

مقاصد الدعوة وفقهها :

هذه الوقفة هي الوقفة الأساسية لفهم رحلة معاذ ، ومعرفة فقهها الدعوى لذا تحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر . . يرد الحديث عن هذه الوقفة ضمن النقاط التالية :

- * التهيئة السابقة لدى الداعية .
- * ترتيب الأولويات .
- * بيان أولوية التوحيد الخالص .

* بيان أولوية الرسالة الخاتمة .

* بيان بعض جوانب أساليب الدعوة وفقهها .

ومما لا شك فيه أن الدعوة الإسلامية قد أقبل الناس عليها - وخاصة بعد فتح مكة - فإذا بالعقول البشرية قد استجابت للفيض الرباني ، فامتلأت القلوب إيماناً صادقاً و يقيناً كاملاً .

كما انطلق نور الهداية ليعم جزيرة العرب وما حولها ، فكان الإعداد والبعث من مرتكز الإسلام إلى الأطراف قائماً .

* التهيئة والإعداد :

من أساليب الدعوة الناجحة تهيئة الداعية بأمرين :

(١) معرفته بالفكرة التي يحملها ويدعو الناس لها ، وإدراكه للأهداف والمنطلقات التي يسعى إلى تحقيقها ، وتبصره بالمعرفة والعلم الذي لا بد منه لتثبيت الفكرة عنده وقدرته على شرحها وتوصيلها .

(أ) تعرّفه وتعريفه بالأجواء والبيئة والمستويات التي سيعمل فيها وبينها ،

وما هي المؤثرات الإيجابية والسلبية للاستعداد لها والتعامل معها ؟

والأمران في حالة معاذ رضي الله عنه واضحان بينان ، فمعاذ مقدّم على

أقرانه ، عارف بحلال الإسلام وحرامه ، وقناعته الإيمانية بالرسالة

والرسول ﷺ في تمامها وكما لها .

ويضع النبي ﷺ وهو يكلفه بالدعوة مجموعة من المعارف المفيدة بين

يديه .

لقد بدأها ﷺ بقوله : « إنك تأتي قوماً أهل كتاب » .

قال ابن حجر رحمه الله : « هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها ،

لكون أهل الكتاب أهل العلم في الجملة ، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان ، وليس فيه أن جميع من يقدم عليهم من أهل الكتاب ، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم ، وإنما خصّهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم ، أو تغليّباً على غيرهم» (٦٦).

وتوفر هذه المعرفة لمعاذ رضي الله عنه أسهم في أداء دور متميز وخاصة أن هذه الإشارة والإيلاء إلى هذا الجانب نبّهت عند معاذ رضي الله عنه ما كان قد مارسه مع اليهود في المدينة من الدعوة . فقد ورد أن اليهود في المدينة كانوا يكثرون من الحديث عن نبي آخر الزمان ، وكان إذا حدث بينهم وبين أهل المدينة شيء قالوا لهم : إن زمان نبي خاتم قد أزف ، ولتبتعنه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم (٦٧) . . بل إن نفر من أهل المدينة الذين لقوا رسول الله ﷺ في منى ، وهم نفر من الخزرج ، فعرض عليهم الإسلام ، ودعاهم إلى الإيمان ، فقالوا : والله هو النبي الذي تواعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه ، فأسلموا (٦٨) . . فلما بعث الله محمداً - ﷺ - من العرب كذب اليهود به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه .

ذهب معاذ بن جبل مع بشر بن البراء رضي الله عنهما إلى اليهود ، وقالوا لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبرونا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . . فقال سلام بن مشكم - أخو بني النضير - ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم (٦٩) :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٧٠)

وقال ابن هشام : وسأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل ، وخارجة بن زيد أخو بلحارث بن الخزرج نفرأ من يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبوا أن يخبروهم عنه^(٧١) ، فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾^(٧٢) .

قال ابن كثير بموضعه : قال أبو العالية : نزلت في أهل الكتاب كتموا صفة محمد ﷺ .

لذا فإن معاذاً رضي الله عنه وقد شارك ومارس دعوة أهل الكتاب ، يعلم جحودهم ومكرهم وإنكارهم ، فهو صاحب تجربة ورؤية تؤهله للخطاب لا يحتاج معها إلا إلى هذه الإشارة السريعة في قول رسول الله ﷺ .

* ترتيب الأولويات :

تبرز هنا قضية من أهم قضايا فقه الدعوة ، إذ على كل ممارس للدعوة أو متحدث عنها أن يلحظها ويتأدب بها ويمارسها ، فإن تقديم الأهم فالهم هو أساس دعوى لا بد من توفره ووجوده .

إن عملية هداية القلوب وتركيز القناعة فيها يتطلب مهارة فائقة ، وقدرة عالية للوصول إلى أفعال تلك القلوب لفتحها ، وإذكاء روح الإدراك وتصويبه نحو الحق الذي يطلبه الله من العباد . وعمل الدعوة من أفضل الأعمال وأصعبها « . . . لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »^(٧٣)

لذا اختار الله الأنبياء وصنعهم جلّ وعلا على عينه ،

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾^(٧٤)

فكانوا الأسوة والقدوة لمن جاء بعدهم وسار على طريقهم .

إن تعلم حملة دعوة الإسلام لفتحها الدعوي ، وتدريبهم على أساليب صناعة الحياة ضمن شريعة الإسلام ، وإيصال فكرته وهداياته إلى الناس ، من أهم قضايا التفكير المنهجي ، والعمل المبرمج ، الذي يسعى الداعون إلى الله إلى إدراكه وفهمه وممارسته .

يأتي قوله : « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله »

وفي رواية : « فليكن أول ما تدعوهم إليه »

ويلاحظ هنا هو قوله ﷺ : « أول » لتأتي من خلاله قاعدة ترتيب الأولويات ، أو البدء بالأهم فالمهم ، وهي القاعدة التي تعصم من تبديد الجهود وضياعها .

فعلى الداعية أن لا يبدد جهوده في الجزئيات واستئصالها ، إن كان في ذلك تعويق له عن غرس معاني العقيدة الإسلامية في النفوس ، ودعوته إلى الله .
ودليلنا على ذلك أن رسول الله ﷺ كان يرى الأصنام تلوث بيت الله وتحيط به وهي تطل بعيونها الجامدة القبيحة ، وهو عليه الصلاة والسلام لا يرفع يده لتحطيمها ولا يأمر أحداً من أصحابه بتكسيها ، ولو أراد لأمر ، ولو أمر لنفد المسلمون ما يأمرهم به ، ولكنه لم يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام ، لأن المسألة ليست مسألة تكسير أصنام آنذاك ، وإنما هي تكسير أفعال القلوب حتى تفقه الحق ، ثم يأتي اليوم الذي تخرف فيه الأصنام تحت ضربات المؤمنين ، وقد كان ذلك في يوم الفتح لمكة . فكان ﷺ يشير بعصاه إلى الأصنام وهو يقول :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٧٥) فتخر إلى الأرض مكسرة محطمة ذليلة^(٧٦) .

بيان أولوية التوحيد الخالص :

وقد ورد في الحديث من خلال تقديم الدعوة إلى الناس ، أن يبدأ معهم بالقضية الأساسية فقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله » .

« . . . وأول وأهم ما أمر النبي ﷺ أن نؤمن به هو لا إله إلا الله وهذه الكلمة التي يقوم عليها بناء الإسلام ، وهي التي تميز المسلم من الكافر والمشرك والملحد وهي التي تحدث الفرق العظيم بين الإنسان المؤمن بها والإنسان المعرض عنها » (٧٧) .

إن أول قضية تبدأ بها الرسالة ، وتبلغ بها الدعوة هي شهادة التوحيد « . . . هذا التوحيد الخالص التام هو مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد ، سواء منها عقائد الملحددين والمشركين ، وعقائد أهل الكتاب المنحرفين يهوداً أو نصارى على اختلاف مللهم ونحلهم جميعاً . كما أنه مفرق الطريق بين حياة المسلم وحياة سائر أهل العقائد في الأرض .

فالعقيدة هنا تحدد منهج الحياة ونظامها تحديداً كاملاً دقيقاً . لقد حكى القرآن الكريم عن اليهود أنهم كانوا يقولون عزير ابن الله ، كما أن الانحراف الذي سجله ما يعتبره اليهود اليوم -الكتاب المقدس- يتضمن شيئاً كهذا كما جاء في سفر التكوين -الإصحاح السادس- وأما انحرافات التصورات المسيحية -النصرانية- فقد حكى القرآن الكريم منها قولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وقولهم : إن الله هو المسيح ، أو أنه ابنه .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ

قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكَونَ ﴿٧٨﴾ .

«كذلك - فإن التوحيد - مفرق الطريق في الحياة والسلوك ، إن الذي يمتلىء شعوره بوجود الله الواحد الأحد لا إله إلا هو ، لا بد أن يختلف منهج حياته ونظامها من الأساس عن الذي تغيم في حسّه تلك التصورات التائهة المهوشة ، فلا يجد في ضميره أثراً لحقيقة الألوهية الفاعلة المتصرفة في حياته .»

«إنه مع التوحيد الواضح الخالص لا مكان للعبودية إلا لله ، ولا مكان للاستمداد والتلقي إلا من الله ، لا في شريعة أو نظام ، ولا في أدب أو خلق ، ولا في اقتصاد أو اجتماع ، ولا مكان كذلك للتوجه لغير الله في شأن من شؤون الحياة ، وما بعد الحياة .»

«إنّ التميّز والتفرّد لطبيعة الحياة الإسلامية - لا لطبيعة الاعتقاد وحده - فالحياة الإسلامية بكل مقوماتها إنما تنبثق انبثاقاً من حقيقة هذا التصور الإسلامي عن التوحيد الخالص الجازم .»

التوحيد الذي لا يستقيم عقيدة في الضمير ما لم تتبعه آثاره العملية في الحياة . من تلقي الشريعة والتوحيد من الله في كل شأن من شؤون الحياة ، والتوجه إلى الله في كل نشاط وكل اتجاه» (٧٩).

«إن التوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل لا تبديل فيها ولا تحويل ، توحيد الإله وتوحيد المعبود ، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية ، ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة . . قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية ، ومتصلة بهذه النواميس وهي واحدة منها» (٨٠).

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴿٨١﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت
به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على
الله » (٨٢).

قال ابن حجر رحمه الله : « ووقعت البداءة بهما - أي الشهادتين - لأنها
أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما . . فمن كان منهم غير موحد ،
فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين » .

ثم قال : « وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه ، كمن يقول
بنوة عزير أو يعتقد التشبيه . . فالمطالبة بالتوحيد لنفي ما يلزم من
عقائدهم » (٨٣).

بيان أولوية الرسالة الخاتمة :

قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : « . . . وأني رسول الله » لا يكفي
في الإسلام الاقتصار على شهادة أن لا إله إلا الله حتى يضيف إليها الشهادة
لمحمد ﷺ بالرسالة .

قال ابن حجر رحمه الله : « . . . ومن كان موحداً ، فالمطالبة - منه -
بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة » (٨٤).

بل لقد جمع بينهما لتلازمهما ، وأنه لا تنفع واحدة منهما بدون الأخرى ،
فلا بد للدخول في الإسلام من الإتيان بهما معاً ، ولهذا جعلها النبي ﷺ شيئاً
واحداً ، وركناً أساسياً في أركان الإسلام الخمسة . . كما ثبت ذلك عن رسول
الله ﷺ حيث قال : « بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم
رمضان » (٨٥) . . فهما معاً الركن الأول والأساسي في هذه الأركان الخمسة (٨٦) .

إن رسالة محمد ﷺ ملزمة لكل الناس ، كيفما كانوا ، أهل الكتاب أو غيرهم لأن الله جعل رسالته خاتمة الرسالات ، ناسخة لها ، باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾ (٨٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن ، بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٨٨) .

فالإسلام هو الصورة النهائية للرسالة التي أنزلها الله للبشر على الأرض ، فلا دين بعده ، ولا رسالة سواه ، ومحمد ﷺ هو النبي الخاتم فلا نبي بعده ، ولا رسول غيره ، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ ﴾ (٨٩) .

وقد أوصى الأنبياء أتباعهم ، وحثوهم على الإيمان برسالة محمد ﷺ وذكروا لهم صفاته ﷺ ، لأن الله أخذ العهد على أولئك الأنبياء بالبيان والذكر والإيمان له إذا أدركوه .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٩٠﴾ .

وكانت بعثة محمد ﷺ هي المكملة لبيان الرسالة ، المتممة لهداية الإنسان في عالم الشهادة .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ .. فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » ﴿٩١﴾ .

وقوله ﷺ :

« . . . وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » ﴿٩٢﴾ .

وكان ﷺ ناصحاً محبباً مشفقاً على هذه الأمة وهدايتها . . .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٩٣﴾ .

بل إنه تحمل الأذى وصبر ، وواجهه أعداؤه بكل قوتهم ومكرهم ، بل سلطت عليه ثقيف ، سفهاءها وغلماها يوم خروجه إلى الطائف فأدموا قدميه ورشقوه بالحجارة ، وطاردوه في أزقة الطائف حتى ألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة أبناء ربيعة ، وفي هذا الجو النفسي الخائق والاضطراب المعنوي الظاهر ، يُجَيَّرُ في إنزال العقاب على المشركين بإطباق الجبال عليهم إلا أنه صلى الله عليه وسلم يقول :

« بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » ﴿٩٤﴾ .

* بعض جوانب أساليب الدعوة وفقهها :

بعث رسول الله ﷺ الرسل والكتب لدعوة الناس إلى دين الله ليقيم عليهم حجة التبليغ والرسالة ، و لبيان الهداية الربانية الشاملة لهم حتى يفيقوا من غفلتهم وينتهوا عن جهالتهم ، ويعبدوا الله الواحد فلا يشركوا معه غيره .

وكان بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ، وكان معه بعض الصحابة منهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه .

قال البخاري بسنده إلى أبي بردة قال : بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن . . قال : وبعث كل واحد منهما على خلاف . . أي والياً على منطقة . . فكان معاذ في الجند وما حولها ، وكان أبو موسى على زبيد وما حولها . . وقد أوصاهما بوصية دعوية مميزة ، هي قوله لهما : « يسراً ولا تعسراً . . وبشراً ولا تنفراً »^(٩٥) . وهي وصية غالية مهمة في ميدان العمل الدعوي ، والممارسة الدعوية .

* التيسير وعدم التعسير :

إن الدعوة الإسلامية التي ختم الله بها الدعوات : باقية خالدة ممتدة في الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، تصلح بسببها الحياة ، وتستقيم على شرعها الحقوق والواجبات ويلتزم بمبادئها وأهدافها المؤمنون بالله في كل زمن وكل حين ، حيث لا يصلح الزمان ولا المكان ولا الإنسان إلا بها ، ولا تتحقق سعادة لأحد إلا في ظلها والسير في طريقها ، وقد جعلها الله قائمة على التيسير وعدم التعسير والخرج .

« لأن التيسير فيها مبني على رعاية ضعف الإنسان ، وكثرة أعبائه ، وتعدد مشاغله وضغط الحياة ومتطلباتها عليه ، وشارع هذا الدين رءوف رحيم لا

يريد بعباده عنتاً ولا رهقاً ، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد^(٩٦) .

والتيسير في دين الله ظاهر بين :

فمن حيث إدراك حقيقة الإسلام تصوراً ، والقناعة به معرفة ، جعل الله مصدر المعرفة فيه ميسرة وهو القرآن الكريم . . فمن خلال قراءته وإدراكه ومعرفة قضية التصور العقدي والتشريعي والأخلاقي ميسرة في ذلك كله .
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾^(٩٧) .

ومن حيث التطبيق الميداني فقد كانت بعثة محمد ﷺ ، وقيامه بالدعوة والجهاد لبناء الأمة المسلمة في المدينة المنورة ، وتمثل تلك الأمة لمعاني الإسلام وتطبيقها لمبادئه هي الصورة المثلى ، والأسوة الكبرى في عالم التطبيق لذلك التصور الميسر ، فإذا بتطابق التيسير في النظرية والواقع في صورة واضحة بيّنة مدركة .

قال تعالى :

﴿ . . يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾^(٩٨) .

« وهذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذه العقيدة كلها ، فهي ميسرة لا عسر فيها ، وهي توحى للقلب الذي يتذوقها بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها ، وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السهولة التي لا تكلف فيها ولا تعقيد ، سهاحة تؤدي معها كل التكاليف وكل الفرائض ، وكل نشاط الحياة الجادة . وكأنها هي مسيل الماء الجاري ، ونمو الشجرة الصاعدة في طمأنينة وثقة ورضاء ، مع الشعور الدائم برحمة الله وإرادته اليسر لا العسر بعباده المؤمنين »^(٩٩) .

والآيات في ذلك كثيرة فمنها :

قوله تعالى : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٠٠).

وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ (١٠١).

وقوله : ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ (١٠٢).

وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١٠٣).

وإذا كانت هذه ومضات التيسير في الإسلام تصوراً وتطبيقاً فإن الداعية إلى هداية الناس وإقناعهم بهذا الدين أحوج إلى أسلوب التيسير وعدم التعسير على المدعوين بل لا بد من رحمة وعطف وحنان على المدعوين ليكون ذلك أدعى لقبولهم وأقرب لاستجابتهم .

انظر معي إلى الداء أعداء الله فرعون ، وقد ادعى ما لم يدعيه بشر ، فقال للناس أنا ربكم إلا على وهي أعظم معصية عصى الله بها ، فهي أعظم من الشرك به جل جلاله ، إلا أن أحب عباد الله وكليمه عند إرساله لدعوة فرعون ، تزود بزاد التيسير وعدم التعسير .

قال تعالى : ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (١٠٤).

« فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة ، ومن شأنه أن يوقظ القلب ، فيخشى عاقبة الطغيان .

اذهبا إليه غير يائسين من هدايته ، راجين أن يتذكر ويخشى ، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة ، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار» (١٠٥).

وهذا وصف النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم بهذا المعنى الكريم الذي يحتاجه كل مسلم على وجه العموم ، وكل داعية على وجه الخصوص .

قال تعالى : ﴿ فِيمَا رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُسُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (١٠٦) .

لأن الناس في حاجة عند دعوتهم والسير بهم في طريق الله إلى هذا التوجيه الرباني وهذا الفيض الألهي .

« فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ، فجعلته ﷺ رحيماً بهم ، ليناً معهم ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ، ولا تجمعت حوله المشاعر .

فالناس في حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم . . في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء .

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ ، وهكذا كانت حياته مع الناس ، ما غضب لنفسه قط ، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يده في سماحة ندية ، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم ، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ، نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحبية ، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته » (١٠٧) .

والموضوع واسع الجنبات ، أورد فيه بعض الآيات الدالة ، والأحاديث النبوية :

قال تعالى : ﴿... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٨).

وقال : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٠٩).

وقال : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (١١٠).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » (١١١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

« إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما
لا يعطي على ما سواه » (١١٢).

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :

« إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » (١١٣).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « من يُجرم الرفق يُجرم الخير كله » (١١٤).

وقال النبي ﷺ :

« إن الله لم يبعثني معتاً ولا متعتاً ، ولكني بعثت معلماً ميسراً » (١١٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن

المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار » (١١٦).

وأختمه بقول ابن القيم رحمه الله : « فإن الناس ينفرون من الكثيف ، ولو بلغ في الدين ما بلغ ، والله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب ، فليس الثقلاء بخواص الأولياء .

وما ثقل أخذ على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك ، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ونظافة وظرفاً . . فترى الصادق فيها من أحلى الناس ، وألطفهم وأطرفهم ، قد زالت عنه ثقاله النفس ، وكدورة الطبع ، فتراه أكرم الناس عشرة ، وألينهم عريكة ، وألطفهم قلباً وروحاً » (١١٧) .

ويقول القاضي عياض : « لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ، ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله ، وصيام نهاره » (١١٨) .

* التبشير وعدم التنفير :

وتمام وصية النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما أن يبشرا الناس ولا ينفرا . . وعملية التبليغ الدعوى لرسالة الإسلام مرتبطة بتبشير الناس بالوعد الذي وعده الله لمن آمن وصدق برسوله محمد ﷺ وبما جاء من ربه تعالى .

قال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ (١١٩) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٥﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٢٠) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا » (١٢١) .

ورود من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ، عن النبي ﷺ :
« وكان يجب التخفيف والتسرى عن الناس » (١٢٢).

والتبشير في الإسلام يكون بأمر عديده منها :

(١) معرفة الله وتوحيده ، فهي كمال العلوم التي تسعد بها العقول ، وتلتذ بها النفوس ، فالسعادة كل السعادة في مكنون حسن الصلة به ، والثقة به ، والتوكل عليه وتوحيده .

(٢) معرفة محمد ﷺ ، فهو المبلغ عن الله تعالى ، فلا تتم صلة العبد بربه إلا بواسطة ما جاء به محمد ﷺ ، فهو القدوة والأسوة فلا يتم إسلام المسلم إلا بتصديقه والإيمان بما جاء به من ربه تعالى .

(٣) يسر الإسلام وشموليته للحياة وكماله وقمامه ، فهو الذي يُحقق السعادة ، ويدفع الشقاء والضنك عن الإنسان في حياته . . ويحقق للإنسان إنسانية ورقياً لم يره الإنسان ولم يمارسه في غير الإسلام العظيم على طول تاريخ الإنسان .

(٤) مغفرة الله ورضاه ، ومحبه للطائعين لأمره من من عباده ، المنتهين عن نبيه فهو الرحيم الرؤوف بعباده التائب عليهم .

(٥) تحقق وعد الله لعباده الصالحين بالجنة التي أعدّها لهم ، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس ، وتلذذ الأعين ، فهي دار النعيم والقرار الذي لا ينغصه شيء .

والداعية حامل للبشارة ، فيحجب الإسلام للناس . . وطريق الترغيب والتبشير هو طريقة مُثلى للدعوة ، وممارسة هداية الناس ، وإيصال المعرفة الإسلامية إليهم ، فهو خلق يتخلق به الداعي ، وزينة يتجمل بها ، فكانت الوصاية به .

قال أبو حاتم : « البشاشة إدام العلماء ، وسجية الحكماء ، لأن البشر يطفئ نار المعاندة ، ويحرق هيجان المباغضة ، وفيه تحصين من الباغي ،

ومنجاة من الساعي ، ومن بشّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك .

وأهل اليمن هم أصحاب القبول للبشرى والتبشير :

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه تعالى عنها قال : جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ ، فقال « يا بني تميم أبشروا » قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فتغيّر وجهه .

وجاءه أهل اليمن فقال : « يا أهل اليمن ، اقبلوا بشرى ، إذ لم يقبلها بنو تميم » ،

قالوا : قبلنا يا رسول الله . قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر .

قال النبي ﷺ : « كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » (١٢٣) .

وقال ابن مسعود : « خالط الناس ، ودينك لا تكلمنه » (١٢٤) .

ومن التبشير وعدم التنفير مداراة الناس . . قال ابن بطال :

« المداراة - أي الرفق في الدفع - من أخلاق المؤمنين ، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة » . ثم قال : « والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه ونحو ذلك . . والمداراة ليست المداهنة - لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنة حرام ، وهي معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه » (١٢٥) .

* التطاوع وعدم التنازع بين الدعاء :

وهذا معلم آخر من معالم الدعوة وفقهها لابد من بيانه وإيضاح دلالاته وفهمه . وهو قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى رضي الله عنهما :
« . . . وتطاوعا ولا تختلفا » (١٢٦) .

وهي وصية في ميدان العمل الدعوي ، وحكم من أحكام الأمانة ،
فالتعاون والتكاتف سبيل نجاح الدعوات ، وطريق صفاء القلوب على
بعضها ، والخلاف والفرقة سبب فشل الجهود ، وتبعثر الطاقات والإمكانات .

وقد امثل الصحابان لهذا التوجيه الكريم ، فكانا يلتقيان للتشاور والتزاور
والتعاون ، وكان كل منهم مطيع لأخيه يتمنى لو كفاه أخوه التكليف والإمرة ،
ومما ورد في ذكر ذلك عندهما ، ما أخرجه البخاري رحمه الله ، فقال بسنده إلى
أبي بردة قال : بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن . . .
وفيه :

« . . . فانطلق كل واحد منهما إلى عمله ، وكان كل واحد منهما إذا سار
في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه ، فسار معاذ في
أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى ، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه ،
وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس ، وإذا رجل عنده وقد جمعت يدها إلى
عنقه .

فقال له معاذ : يا عبد الله بن قيس أيم هذا ؟

قال : هذا رجل كفر بعد إسلامه .

قال : لا أنزل حتى يقتل .

قال : إنما جيء به لذلك ، فانزل .

قال : ما أنزل حتى يقتل .

فأمر به فقتل : ثم نزل ، فقال : يا عبد الله .. كيف تقرأ القرآن ؟
قال : أتفوقه تفوقاً .

قال : فكيف كيف تقرأ أنت يا معاذ ؟

قال : أنام أول الليل ، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم ، فأقرأ ما كتب
الله لي فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي « (١٢٧) .

وقوله في الحديث : « أحدث به عهداً » أي جدد به العهد بزيارته له .
وقوله : « أتفوقه تفوقاً » .

قال ابن حجر رحمه الله : معناه : « الأزم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعد
شيء ، وحيناً بعد حين . مأخوذ من فواق الناقه ، وهو أن تحلب ثم تترك ساعة
حتى تدرّ ثم تحلب هكذا دائماً » (١٢٨) .

والفرقة والخلاف مرض من أمراض القلوب يدفع إليها ما يأتي :

(١) الكبر : (بطر الحق ، وغمط الناس) .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . الكبر بطر الحق وغمط
الناس » (١٢٩) .

فلا يعترف لغيره بفضل ، ولا يرى قدرة عند أحد . فهم قاصرون جميعاً
لا يدركون ما يدرك ، ولا يبدعون ما يبدع ، معجب بنفسه لا يعترف
لأحد غيره بمكان .

(٢) التعصب لوجهة النظر :

فإذا أبدى رأياً أو اجتهد اجتهاداً فلا بد أن ينصاع الجميع لرأيه ،
فرأيه صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأيه غيره خطأ لا يحتمل الصواب ، لذا
فإنه يُقعد الدنيا ولا يقيمها إذا رأى من مجتهد غيره اجتهاداً أو رأياً يخالف
رأيه أو اجتهاده .

(٣) الجهل والجهالة :

يقول سحنون : « يكون عند الرجل باب واحد من العلم ، فيظن أن الحق كله فيه » (١٣٠).

(٤) الظلم وعدم العدل :

وقد أمر الله بالعدل في كل شيء ، فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (١٣١).

والعدل في الإسلام ميزان تعامل مع الجميع حتى ولو كان عدواً ، قال

تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١٣٢).

وهي أخلاق وصفات يبتعد المؤمن عنها وعن ممارستها وتعاطيها (١٣٣).

روى ابن قتيبة قال :

« مرّ بي بشر عبد الله بن أبي بكرة فقال : ما يجلسك هاهنا ؟ فقلت : خصومة بيني وبين ابن عم لي ، فقال : إنّ لأبيك عندي يداً ، وإنّي أريد أن أجزيك بها ، وإنّي والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب من الخصومة » (١٣٤).

والدعاة هم على قلب رجل واحد كما يقول النبي ﷺ :

« لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب واحد » (١٣٥).

وهم كما قال الشاعر :

قوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيماناً
والمسئولية في أداء الدور الدعوي ، تكليف لا تشریف ، ومهمة شاقة لا نزهة
مریحة .

« ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » (١٣٦).

« من ولي أمر عشرة من أمتي جاء يوم القيامة ويده مغلولتان إلى عنقه حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور » (١٣٧).

متى رجع معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه من اليمن ؟ :
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : اتفقوا على أنه لم ينزل على اليمن إلى أن قدم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . . لقد قدم إلى الحجاز .
ووصل مكة في موسم الحج الحادي عشر من الهجرة ، وكان الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه قد عين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أميراً للحج في هذا العام ، فلقى معاذ يوم التروية ، فاعتنقا طويلاً ، وعزى كل واحد منها صاحبه برسول الله ﷺ (١٣٨) .

قال الأعمش عن شقيق : « قدم معاذ من اليمن برقيق ، فلقى عمر بمكة . . فقال : ما هؤلاء ؟ »

قال : أهْدُوا لي . . قال : ادفعهم إلى أبي بكر ، فأبى .

فبات فرأى كأنه يُجرّ إلى النار ، وأن عمر يجذبه ، فلما أصبح قال : يابن الخطاب ما أراني إلا مطيعك . . إلى أن قال : فدفعهم إلى أبي بكر .

فلما أصبح فرآهم يصلّون . . قال : لمن تصلّون ؟ قالوا : لله . . قال : فأنتم لله » (١٣٩) .

الخاتمة

- في رحلة معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، تبين لنا ما يأتي :
- * جُهدوا واحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم ، بلِّغ الرسالة ، وفارق وطنه وأهله ، وأقام حجة الله على خلقه ، فكان نعم المبلِّغ ، ونعم المعلم .
 - * فضل قوم أرسل إليهم رسول الله ﷺ داعيته ، فكانت استجابتهم كاملة ومعدنهم خير ، فإذا بهم يتظمون في صف دعوة الرسالة ، تتزاحم مناكبهم طاعة وولاء ووفاء للداعية وللرسول ﷺ .
 - * بيان منهج في فقه الدعوة تبصر من خلاله جهد البشر وهم يبلِّغون رسالة الله للناس في كل مكان في أحدث صورة من صور صلاحية الرسالة والدين ، وأحدث صورة لما أبدعته أساليب التبليغ لهذه الدعوة .
 - * تراءى أمامك ساحة الإسلام ويسره وبشراه للسالكين في طريق الإيمان والدعوة الإسلامية ، لا يطلبون دنياً ، ولا يتنافسون على منصب ، ولا يطمعون في جاه .
 - * تظهر دلائل الأولويات في الاهتمام بأساسات البناء ونقطة البداية ، ومهمة الحياة والوجود في اعتراف للخالق الموحد بالخلق ، وتوجيه العبادة والطاعة له ، مع إقرار تام بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .
 - * إن بيان هذا الجهد وغيره مما يضيفي روح العلم والفهم والإدراك في أجيال المسلمين وهم يمارسون عملية البناء للأمة على توحيد صادق ، وإيمان مشرق ، ورسالة شقيقة طيبة ، ينتظم في صفوفها أبناء الإسلام في شرق العالم وغربه ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده .

والله المستعان

الهوامش

- (١) أخرجه الترمذي ٦٦٦/٥ (٢٧٩٥) وهو حديث حسن .
- (٢) أخرجه أحمد ١٨٤/٣ - ٢٨١ ، وأخرجه الترمذي ٦٦٤/٥ (٣٧٩٠) وقال : حديث حسن .
- (٣) آل عمران / ٨٥ .
- (٤) أخرجه البخاري ١٢٤٣/٣ (٣٤٧٠) وأخرجه مسلم ١٩٦٧/٤ (٢٥٤٠) .
- (٥) أخرجه أحمد ٨١/١ - وجمع الزوائد ٣١١/٩ .
- (٦) سير أعلام النبلاء ٤٤٣/١ - ٤٤٤ .
- (٧) أخرجه أحمد ١٨٤/٣ - ٢٨١ - وتقدم - .
- (٨) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/١ .
- (٩) الاصابة ٤٢٧/٣ .
- (١٠) المستدرک ٢٧٣/٣ وصححه ، ووافقه الذهبي .
- (١١) أخرجه البخاري ١٣٧٢/٣ (٣٥٤٨) وأخرجه مسلم ١٩١٤/٤ (٣٤٦٤) .
- (١٢) أخرجه البخاري ١٣٨٥/٣ (٣٥٩٧) وأخرجه مسلم ١٩١٣/٤ (٣٤٦٤) .
- (١٣) المستدرک ٢٧١/٣ - ٢٧٢ وصححه الذهبي .
- (١٤) حلية الأولياء ٢٢٨/١ .
- (١٥) المستدرک ٢١٩/٣ ، والحلية ٢٣١/١ ، والطبقات الكبرى ١٢٥/٢/٣ .
- (١٦) المستدرک ٢٧١/٣ - ٢٧٣ وصححه ووافقه الذهبي . وقوله (قرأ) أي قال وتحدث .
- (١٧) الاصابة ٤٢٧/٣ .
- (١٨) صحيح البخاري ١٥٧٨/٤ .
- (١٩) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
- (٢٠) فتح الباري ٦١/٨ .
- (٢١) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
- (٢٢) البداية ١٠٣/٥ .
- (٢٣) تقريب التهذيب ١٩٤/٢ وميزان الاعتدال ١٦٢/٢ .
- (٢٤) تقريب التهذيب ٤٤٤/١ وقال ابن حجر صدوق اختلط بعد احتراق كتبه .
- (٢٥) حاشية سير أعلام النبلاء ٤٤٧/١ - ٤٥٩ .
- (٢٦) أخرجه البخاري ٥٩٤/٤ (٤١٢٧) ومسلم . ٧٢/١ (٥٢) .
- (٢٧) البخاري ٢٥٩٨/١ (٦٦٨١) .
- (٢٨) البداية ٧٥/٥ .
- (٢٩) المسند ٢٣٥/٥ ورجاله ثقات .
- (٣٠) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١ - والاصابة ٤٢٧/٣ .
- (٣١) الطبقات الكبرى ٥٨٥/٣ .
- (٣٢) معجم البلدان والقبايل اليمنية / ٩٥ .

- (٣٣) السلوك ١٩/١ ، وطبقات الفقهاء للجمعي / ٥٢ وذلك بناء على رأي من يرى أنه ذهب سنة تسع وقد بينت قبله أن ذهابه كانت سنة عشر - والله أعلم - .
- (٣٤) معاذ بن جبل - سلسلة أعلام المسلمين / ٦٣ .
- (٣٥) حلية الأولياء ٢٣٢/١ .
- (٣٦) معاذ بن جبل / ٦٨ - وتاريخ الطبري ٢٣١/٣ .
- (٣٧) المسند ٢٣١/٥ - والحلية ٢٣٦/١ .
- (٣٨) سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١ - والسند ضعيف .
- (٣٩) أخرجه مسلم ٧١/١ (٥٢) .
- (٤٠) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
- (٤١) الاستيعاب بحاشية الاصابة ٣٥٦/٣ .
- (٤٢) البداية ٣٥٨/٣ .
- (٤٣) أخرجه البخاري ٤/١٥٨٠ (٤٠٩١) .
- (٤٤) فتح الباري ٦٥/٨ .
- (٤٥) عشرون حديثاً من صحيح مسلم / ٣٨ .
- (٤٦) تاريخ الطبري ٢٣٢/٣ .
- (٤٧) المسجد ونشاطه الاجتماعي - عبد الله الوشلي / ١٨٩ .
- (٤٨) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٣٥/٥ .
- (٤٩) أخرجه البخاري ٢/٥٢٩ (١٣٨٩) وأخرجه مسلم ٥٠/١ (١٩) .
- (٥٠) أخرجه مسلم ٥٠/١ (١٩) .
- (٥١) قوله (إذا لم يعرف المعروف) أي إذا لم تعرف الصحابي بل قال الراوي مثلاً عن رجل من الصحابة - فإنه يكفي لأنهم عدول ولو لم تعرف أسماءهم فهم معروفون بالعدالة .
- (٥٢) شرح النووي على مسلم ١٩٦/١ .
- (٥٣) عشرون حديثاً من صحيح مسلم / ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ .
- (٥٤) انظر فتح المغيث للسخاوي ٧٨/١ ، والكفاية للخطيب البغدادي / ٤٠٧ - ٤٠٨ .
- (٥٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٦/١ .
- (٥٦) تهذيب التهذيب ٢١٨/١ .
- (٥٧) تقريب التهذيب ٢٢١/٢ .
- (٥٨) تقريب التهذيب ٣٣٢/٢ .
- (٥٩) ميزان الاعتدال ١٨٣/١ - والتقريب ٥٤/١ .
- (٦٠) مقدمة شرح النووي على مسلم / ٢٥ .
- (٦١) الاصابة ٣٣٠/٢ .
- (٦٢) فتح الباري ٣/٢٥٨ - ٢٥٩ .
- (٦٣) البداية ٥٢/٥ .
- (٦٤) التوبة / ١٠٣ .

- (٦٥) عمدة القارى ٢٣٦/٨ .
- (٦٦) فتح الباري ٢٥٩/٣ .
- (٦٧) تفسير ابن كثير ١٢٤/١ ، البداية ١٤٨/٣ - ١٤٩ .
- (٦٨) البداية ١٤٨/٣ - ١٤٩ .
- (٦٩) تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .
- (٧٠) سورة البقرة / ٨٩ .
- (٧١) سيرة النبي ﷺ ابن هشام ٥٥١/١ .
- (٧٢) سورة البقرة / ١٥٩ .
- (٧٣) أخرجه البخاري ١٠٧٧/٣ (٢٧٨٣) ، وأخرجه مسلم ١٨٧٢/٤ (٢٤٠٦) .
- (٧٤) سورة الأنعام ١٢٤ .
- (٧٥) الإسراء / ٨١ .
- (٧٦) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان / ٤٠٩ .
- (٧٧) مبادئ الإسلام - المودودي / ٨٠ .
- (٧٨) التوبة / ٣٠ .
- (٧٩) في ظلال القرآن ٢٦٥/١ - ٢٦٦ .
- (٨٠) في ظلال القرآن ٢٣٧٤/٤ .
- (٨١) الأنبياء / ٢٥ .
- (٨٢) أخرجه مسلم ٥٢/١ (٢١) .
- (٨٣) فتح الباري ٣٥٨/٣ .
- (٨٤) فتح الباري ٣٥٨/٢ .
- (٨٥) أخرجه البخاري ١٢/١ (٨) وأخرجه مسلم ٤٥/١ (١٦) .
- (٨٦) عشرون حديثاً من صحيح مسلم/٣٨ .
- (٨٧) الأحزاب / ٤٠ .
- (٨٨) أخرجه مسلم ١٢٤/١ (١٥٣) .
- (٨٩) آل عمران / ٨٥ .
- (٩٠) الأعراف / ١٥٧ - ١٥٨ .
- (٩١) أخرجه البخاري ١٣٠٠/٣ (٣٣٤١) . وأخرجه مسلم ١٧٩٠/٤ (٢٢٨٦) .
- (٩٢) أخرجه مسلم ٣٧١/١ (٥٢٣) .
- (٩٣) التوبة / ١٢٨ .
- (٩٤) أخرجه البخاري ١١٨١/٣ (٣٠٥٩) . وأخرجه مسلم ١٤٢٠/٣ (١٧٩٥) .
- (٩٥) أخرجه البخاري ١٥٧٨/٤ (٤٠٨٦) وأخرجه مسلم ١٣٥٨/٣ (١٧٣٣) .
- (٩٦) الخصائص العامة للإسلام - د. القرضاوي / ١٧٧ .
- (٩٧) القمر / ١٧ .
- (٩٨) البقرة / ١٨٥ .
- (٩٩) في ظلال القرآن ١٧٢/١ .

- (١٠٠) الحج / ٧٨ .
(١٠١) النساء / ٢٨ .
(١٠٢) البقرة / ١٧٨ .
(١٠٣) البقرة / ٢٨٦ .
(١٠٤) طه / ٤٣ - ٤٤ .
(١٠٥) في ظلال القرآن ٤/٢٢٣٦ .
(١٠٦) آل عمران / ١٥٩ .
(١٠٧) في ظلال القرآن ١/٥٠٠ - ٥٠١ .
(١٠٨) آل عمران / ١٣٤ .
(١٠٩) الأعراف / ١٩٩ .
(١١٠) فصلت / ٣٤ .
(١١١) أخرجه البخاري ٦/٢٥٣٩ (٦٥٢٨) وأخرجه مسلم ٤/١٧٠٦ (٢١٦٥) .
(١١٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٢ (٢٥٩٢) .
(١١٣) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٤ (٢٥٩٤) .
(١١٤) أخرجه مسلم ٤/٢٠٠٣ (٢٥٩٢) وكلمة (كله) لم ترد عند مسلم ، وقد وردت عند أبي داود ١٥٧/٥ (٤٨٠٩) .
(١١٥) أخرجه مسلم ٢/١١٠٤ - ١١٠٥ (١٤٧٨) .
(١١٦) مشكاة المصابيح ٣/١٤٠٩ - واسناده صحيح .
(١١٧) تهذيب مدارج السالكين / ٥٧٦ .
(١١٨) الوفيات ٤/٤٨ .
(١١٩) سورة مريم / ٩٧ .
(١٢٠) سورة التوبة / ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .
(١٢١) أخرجه البخاري ٥/٢٢٦٩ (٥٧٧٤) ومسلم ٣/١٣٥٩ (١٧٣٤) .
(١٢٢) أخرجه البخاري تعليقاً ٥/٢٢٦٩ (٥٧٧٤) وقال ابن حجر في الفتح ١٠/٥٢٥ - ذكره مالك في الموطأ .
(١٢٣) أخرجه البخاري ٣/١١٦٦ (٣٠١٩) .
(١٢٤) فتح الباري : ١٠/٥٢٦ (تكلمته - بضم الميم - من الكلم وهو الجرح) .
(١٢٥) فتح الباري ١٠/٥٢٨ .
(١٢٦) أخرجه البخاري ٤/١٥٧٩ (٤٠٨٨) ، وأخرجه مسلم ٣/١٢٥٨ (١٧٣٣) .
(١٢٧) أخرجه البخاري ٤/١٥٧٨ (٤٠٨٨) .
(١٢٨) فتح الباري ٨/٦٢ .
(١٢٩) أخرجه مسلم ١/٩٣ (٩١) .
(١٣٠) ترتيب المدارك ٢/٦١٥ .
(١٣١) النحل / ٩٠ .

- (١٣٢) المائدة / ٨ .
- (١٣٣) انظر نفائس الحلة في التأخى والحلة ٦١ - ٦٢ .
- (١٣٤) احياء علوم الدين ١١٩/٣ .
- (١٣٥) أخرجه البخاري ١١٨٥/٣ (٣٠٧٣ - ٣٠٧٤) ، وأخرجه مسلم ٢١٨٠/٤ (٢٨٣٤) .
- (١٣٦) أخرجه مسلم ١٤٦٠/٣ (١٤٢) .
- (١٣٧) أخرجه الدارمي ٢٤٠/٢ ، وأحمد في المسند .
- (١٣٨) معاذ بن جبل - سلسلة أعلام المسلمين ٧٣ - ٧٤ . والمستدرک ٢٧٤/٣ .
- (١٣٩) المستدرک ٢٧٢/٢/٣ - وصححه ووافقه الذهبي وسير أعلام النبلاء ٤٥٤/١ ، وذكر الذهبي بموضعه أن أبا بكر دفعهم إليه - أي أعادهم لمعاذ - فلما رأهم معاذ يصلون . . القصة . فيكون المعتق لهم معاذ رضى الله عنه .

مصادر البحث

- (١) القرآن العظيم .
- (٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرظي / حاشية على الإصابة ط/ دار إحياء التراث - لبنان .
- (٣) الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ط/ دار أحياء التراث - لبنان .
- (٣) إحياء علوم الدين الغزالي - ط/ الكتاب العربي - لبنان .
- (٤) أصول الدعوة أ.د. عبد الكريم زيدان - ط/ لبنان .
- (٥) البداية والنهاية أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن كثير - ط/ الرابعة - لبنان .
- (٦) تاريخ الرسل والملوك الإمام محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط/ دار المعارف - مصر .
- (٧) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك للقاضي عياض - تحقيق محمد بن تايوت الطنجي - ط/ وزارة الأوقاف - الرباط - ١٩٦٥ م .
- (٨) تفسير القرآن العظيم ابن كثير - ط/ لبنان .
- (٩) تقريب التهذيب ابن حجر العسقلاني - ط/ المكتبة العلمية - المدينة المنورة .
- (١٠) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني - ط/ الهند .
- (١١) تهذيب مدارج السالكين عبد المنعم صالح العلي - دار كاظم - دبي .
- (١٢) جامع الترمذي محمد بن عيسى بن سورة - تحقيق وترتيب أبو غدة - أبو نعيم - ط/ دار الكتاب العربي - بيروت .
- (١٣) حلية الأولياء د. يوسف القرضاوي - ط/ الرسالة - لبنان .
- (١٤) الخصائص العامة للإسلام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي نشر/ دار إحياء السنة - لبنان .
- (١٥) مسند الدارمي
- (١٦) سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ط/ الرسالة - لبنان
- (١٧) سيرة النبي ﷺ عبد الملك بن هشام - تحقيق محمد محيي الدين - ط/ التجارية - مصر
- (١٨) شرح النووي على صحيح مسلم محيي الدين النووي - ط/ دار الفكر - لبنان .
- (١٩) صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - ترتيب د. مصطفى البغاء ط/ علوم القرآن - عجمان .

- (٢٠) صحيح مسلم
مسلم بن الحجاج - تحقيق وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي
ط/ دار الفكر وحياء التراث - لبنان .
- (٢١) طبقات الفقهاء
الجندي - ط/ لبنان .
- (٢٢) الطبقات الكبرى
محمد بن سعد - ط/ دار صادر - لبنان .
- (٢٣) عشرون حديثاً من صحيح مسلم عبد المحسن بن حمد العباد - ط/ السلفية - مصر .
- (٢٤) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني - ط/ دار الفكر - لبنان .
- (٢٥) فتح الباري
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ط/ السلفية - مصر .
- (٢٦) فتح المغيث غلى ألفية الحديث
محمد بن عبد الرحمن السخاوي - ط/ السلفية - المدينة المنورة
- (٢٧) في ظلال القرآن
سيد قطب - دار الشروق - لبنان .
- (٢٨) الكفـاية
الخطيب البغدادي - تعليق د. أحمد عمر هاشم - ط/ مصر .
- (٢٩) مبادئ الإسلام
أبو الأعلى المودودي - ط/ لبنان .
- (٣٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - ط/ دار الكتاب - لبنان .
- (٣١) المستدرک علی الصحیحین
أبو أحمد الحاكم - ط/ الهند .
- (٣٢) المسجد ونشاطه الاجتماعي
عبد الله بن قاسم الوشلي - ط/ الرسالة - بيروت .
- (٣٣) المسند
أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - ط/ دار صادر - لبنان .
- (٣٤) مشكاة المصابيح
- التبريزي - بتحقيق الألباني - ط/ المكتب الاسلامي .
- (٣٥) معاذ بن جبل
عبد الحميد طهـماز-سلسلة أعلام المسلمين-ط/ دار الفكر-سوريا
- (٣٦) معجم البلدان والقبائل اليمنية
د. حسين العمري - دار الحكمة - صنعاء .
- (٣٧) ميزان الاعتدال
شمس الدين الذهبي - ط/ الحلبي - مصر .
- (٣٨) نفائس الحلة في التأخي والحلة
عدنان سالم وعلي الهزاع - ط/ كاظم - دبي .
- (٣٩) الوفيات
ابن شاکر الکتبي - ط/ دار الثقافة - لبنان .